مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٧)، العدد (١)، ص ص ٢٣٥-٢٦٣، (محرم ١٤٣٥هـ/ نوفمبر ٢٠١٣)

تذكير المؤنث
"دراسة تحليلية للأخطاء اللغوية الشائعة"

د. إبراهيم آدم إسحق
عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية
جامعة أم درمان الإسلامية في السودان.

ملخص البحث. اعتدنا في السودان أن نشاهد هذه الأيام في الصحف ،وفي الدوريات، وفي دواوين الدولة ونحوها وصف النساء بأوصاف الرجال .من ذلك قولهم :سمية المحامي وموثق العقود، ودكتور فاطمة ونحو ذلك، تماماً كوصفهم أحمد بأنه محامي وموثق العقود، ولا فرق.

والذي دفع بعضهم إلي تذكير المؤنث، هو أن قراء الإنجليزية عندنا في العالم العربي والإسلامي بعامة، وفي السودان بخاصة، على سبيل التمثيل ،حاولوا تطبيق قواعد اللغة الإنجليزية وأساليبها من حيث التذكير والتأنيث، علي قواعد اللغة العربية ، وهما كما نعلم، من أسرتين لغوتين مختلفتين. فاللغة الإنجليزية من أسرة اللغات الهندية الأوربية ،في حين أن اللغة العربية من أسرة اللغات السامية ؛ومن ثم فإن سلوكهما من حيث التذكير والتأنيث مختلف.

وإذا كانت اللغة الإنجليزية تجيز في أنظمتها النحوية تقسيم الاسم إلي: مذكر، ومؤنث، ومحايد، في الوظائف، وفي الحِرف ونحوها، فإن اللغة العربية لا تقر في أنظمتها النحوية هذا الاسم المحايد، ولهذا فإن الوظيفة، أياً كانت ، إذا شغلها رجل، فلا بد من أن يوصف بأوصاف الرجال، وكذلك إذا شغلتها امرأة ؛ولذلك يجب أن يقال في العربية: أحمد المحامي وموثق العقود، وسمية المحامية وموثقة العقود.

وهذا ملخص لما قدمه هذا البحث لتصحيح هذا الخطأ من اللغوي الشائع.

مقدمة

من حكمة الله تعالي أنه خلق الكائنات الحية مزاوجةً ، أي من ذكر وأنثى، ولذلك قال تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ [سورة الحجرات، الآية ١٣]. وقال تعالى: ژ ں ں ڻ ڻ ژ [سورة الليل، الآية ٣]. ويسمّي الذكر مذكّرًا: إذا وُصِفَ بالذكورة بخلاف الأنوثة؛ ولذلك قالوا: ((المذكر: يُراد به المذكر في الأعيان، والمعاني، والألفاظ. والتذكير: يُراد به نَزْعُ ما يدلّ علي التأنيث، والمؤنث خلافه، يكون بزيادةٍ في لفظ المذكر للدلالة علي تأنيثه. . . وأن المؤنث وُضعت له علامة تميزه عن المذكر ليُعرف بها، وهي زائدة في اللفظ. والمذكر ليست له علامة)).[١]

وجاء في اللسان: ((الأنثى: خلاف الذكر من كل شيء، والجمع إناث، وأُنُث. . . والإناث: جماعة الأنثى، ويجيء في الشعر (أناثي). وإذا قلت للشيء تؤنثه، فالنعت بالهاء. فإذا قلت: المرأة، تُؤنّث. فالنعت مثل الرجل: بغير هاء. ويقال: امرأة أنثى: إذا مُدِحت بأنها كاملة من النساء، كما يقال: رجلُ ذكرُ: إذا وُصف بالكمال)).[٢]

ومع أن العلماء نصّوا علي ضرورة إيراد علامة تّميز الاسم المؤنث عن الاسم المذكر، فإنك عندما تمرّ بالأسواق، أو ببعض المؤسسات، أو ببعض دواوين الدولة في السودان مثلا، تري كثيرًا من الأخطاء اللغوية التي شاع استعمالها في هذه المرافق، فقد تراها مكتوبة على الورق، وقد تراها مكتوبة على اللوحات البيانية، وقد تراها مكتوبة في الصحف اليومية، وفى غيرها من وسائل الاتصال، بل قد تسمعها من المذياع، أو من التلفاز، أو من غيرهما. وقد ثبتت هذه الأخطاء في أذهان كثير من الناس، بحيث لو حاولت تصحيحها لأنَكرَ بعض القوم ذلك عليك. من هذه الأخطاء مثلاً:

أ) سعاد المحامى وموثق العقود.

---

(١) المذكر والمؤنث بين اللفظ والمعني، للدكتور محمود عكاشة، ط، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ٢٠٠٩م، ص٩.

(٢) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، ت. ٧١١هـ، ط المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٨ هـ، ١٨٩١ م جـ ٤١٧/٢

ب) وسمية وزير التنمية الاجتماعية.
جـ) وزينب المحاسب الأول بالشركة، ونحو ذلك.
وليتهم وقفوا بأخطائهم عند هذا الحد، وإنما راحوا يقولون:
١- مولانا ابتسام.
٢-والقاضي علوية.
٣-وعنايات وكيل النيابة.
٤-وسعدية أمين عام اتحاد المرأة.
٥-وأم كلثوم موجه أول رياضيات بالوزارة.
٦-وقالوا أيضًا: دكتور بثينة، ورائد شرطة عائشة، ومقدم شرطة وداد، وهكذا. فهذه الأساليب ونحوها لم نكد نعهدها في السودان من قبل.
أقول: من قبل؛ لأن مولانا زبيدة، والقاضي ابتسام، ووكيل نيابة فاطمة ونحوها، مسألة خلافية، إذ إن قضاء المرأة وإمامتها لا دليل عليهما من الشرع حتى يوم الناس هذا، وإنما هو أمرٌ جرى فيه القياس في ولاية النساء على الأموال عند أبى حنيفة، ولم يقل بذلك غيره من الأئمة حسبما أعلم.(٣)

---

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط، في تفسير قولة تعالى على لسان الهدهد: ﴿ أَ بِ بِ ﴾ [سورة النمل، الآية ٢٣]، لا يدل قوله: (تملكهم) على جواز أن تكون المرأة ملكة؛ لأن ذلك من فعل قوم بلقيس، وهم كفار، فلا حجة في ذلك. . . ونُقِل عن محمد بن جرير الطبري أنه يجوّزُ أن تكون المرأة قاضية، ولم يصح عنه. ونُقِلَ عن أبي حنيفة أنها تقضى فيما تشهد فيه، لا على الإطلاق، ولا أن =يُكتب لها مسطور بأن فلانة مقدمة على الحكم، وإنما ذلك على سبيل التحكم والاستنابة في القضية الواحدة)). البحر المحيط٦٧/٧.

وقد بسط القول في هذه المسألة الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي بقوله: ((وأما الذكورة، فهي شرط أيضًا عند غير الحنفية، فلا تُوَلى المرأة القضاء؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((لن يُفلح قوم ولوا أمرهم امرأة))؛ وَلِأن القضاء يحتاج إلى كمال الرأي، وتمام العقل، والفِطنَة، والخبرة بشؤون الحياة، والمرأة ناقصة العقل، قليلة الرأي بسبب ضعف خبرتها، وإطلاعها على واقع الحياة، ولأنه لابد من مجالسة الرجال من الفقهاء، والشهود، والخصوم، والمرأة ممنوعة من مجالسة الرجال بُعدًا عن الفتنة. وقد نبهَ الله تعالى على نسيان المرأة فقال: ﴿ ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٢]. ولا تصلح للإمامة العظمى، ولا لِتوْلِيةِ البلدان؛ ولهذا لم يول النبي صل الله عليه وسلم، ولا أحد من خلفائه، ولا مَنْ بعدهم امرأةً قضاءً، ولا ولآيَة بلدٍ)). الفقه

والذي يُلاحظ هنا أننا في الدول الإسلامية التي ابتُليت بالاستعمار الإنجليزي بخاصة، تأثرنا بالثقافة الإنجليزية بوعي أو بدون وَعْى منا. فإذا كانت مارجريت تاتشر أصبحت رئيسة لوزراء بريطانيا، وهذا المنصب يعادل منصب الإمامة الكبرى عند المسلمين، فماذا يمنع من أن يكون رئيس وزراء دولة إسلامية كبرى كباكستان امرأة، وقِسْ على ذلك بنغلادش، وأندونيسيا، وتركيا، بالإضافة إلى الدول الدائرة في فلك الكومنولث البريطاني، كالهند، وسريلانكا، والفلبين وغيرها. فعندنا امرأة (قاضٍ) لا قاضية، وأخرى (والٍ)، وليست والية، وامرأة لواء، وربما نجد بعد حين امرأة (فريقًا)، وامرأة (مشيرًا)، وهكذا.

أما إذا عُدنا إلى القضية الأساس، قضية خلط الموازين اللغوية حينما وصفنا المؤنث بصفة المذكر، فقلنا: مولانا ابتسام، والقاضي سعاد، وبثينة المحامى وموثق العقود ونحوه، فنقول: إن ذلك كله استعجام، وخروج على مقتضى أقيسة العربية. وأحسب أن الذي جرّنا إلى ذلك كله أمران:

الأول: جهلنا، أو جهل أكثرنا بأساليب العربية الفصحى، وبنهجها في النحو، وفى التصريف.

والثاني: تأثرنا بلغات الأعاجم، وباللغة الإنجليزية منها بخاصة، وبثقافتها كذلك، دون وعيٍ منا بهذا التأثر، فطفقنا نذكر المؤنث، ونُلبس الأنثى أثواب الرجل ما دامت اللغة الإنجليزية تفعل ذلك، فَنَصِفُها من ثم بصفاته وهى منها براءٌ، وبالطبع ليست هي هو! وسيظل الرجل رجلاً، والمرأة امرأة ما طلع النّيّران، وستظل المرأة امرأة وإن أوْهَمَهَا بعضهم بأنها رجل، فذلك كله لا يغير من فطرتها شيئًا، ولا يغير كذلك من نسق اللغة العربية التي فرقت، في كل أساليبها، بين المذكر والمؤنث، وحرصت على ذلك حرصًا شديدًا، ومن ثم نخشى أن يأتينا يومٌ ننعت فيه الرجل أيضًا بنعوت الأنثى، فنقع فيما حذرنا منه أبو بكر بن الأنباري في كتابه (المذكر والمؤنث) بقوله: ((اعلم أنّ من تمام معرفة النحو

الإسلامي وأدلته، للشيخ الدكتور وهبة الزحيلى، ط. دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م. ج٦/٤٨٢

والإعراب، معرفة المذكر والمؤنث؛ لأن من ذكر مؤنثًا، أو أنث مذكرًا، كان العيب ملازمًا له كلزومه مَن نصبَ مرفوعًا ، أو خَفَض منصوبًا . وأنا مُفَسِّر في كتابي هذا إن شاء الله التأنيث والتذكير، ومُبَيِّنٌ ذلك بابًا بابًا، وأصلاً أصلاً. . . ليكون الناظر في كتابنا هذا، والعارف له، خارجًا عن جملة اللاحنين، ومباينًا جماعة المعيبين)).(٤)

والحق: ((أن الدارس للغات البشر يلاحظ أن عددًا كبيرًا منها يستعمل قواعد متنوعة، ومختلفة. فعملية التأنيث والتذكير تعتبر من أهم القواعد التي تتشابه وتختلف فيها الأنساق اللغوية. . . في كل من اللغة العربية والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية.

١-إن اللغة الإنجليزية لا تكاد تهتم البتة بمسألة تذكير وتأنيث الأسماء فمعاجم لغة شكسبير لا تذكر حالة التأنيث أو التذكير أمام أسماء الكائنات الحية، أو الأشياء الجامدة، وبعبارة أخرى، فإن الأسماء تبقى محايدة في اللغة الإنجليزية.

٢-وبالمقارنة بالإنجليزية، فإن اللغتين: العربية والفرنسية تتخذان مسألة تذكير وتأنيث الأسماء بكل جدية، أي إن أسماء الكائنات الحية، وأسماء الأشياء الجامدة تكون إما مؤنثة وإما مذكرة. وهكذا يبدو وكأن موقفي لغة الضاد، ولغة موليير يعزّزان القانون الكوني العام للتأنيث والتذكير الذي تلخصه الآية الكريمة: ژ ئد ى ى ي ي □ □ ژ [سورة الذاريات، الآية ٤٩].(٥)

ولم تكتف اللغة العربية، وفق التزامها الصارم بتذكير الأسماء وبتأنيثها، وإنما كان العرب، على ما نقله عبد الحق فاضل قد ((أنثوا من الجمادات ما هو شبيه بالأنوثة مما كان مثقوبًا، أو عميقًا، أو موطوءًا أو نحو ذلك، كالرَّحَى، والبئر، والأرض، وبوُسْعِنا أن نضيف إلى ذلك، جريًا على هذه القاعدة، من الجمادات المؤنثة التي تشبه المرأة ما كان

---

(٤) المذكر والمؤنث، لأبي بكر بن الأنباري، تحقيق الشيخ الدكتور عبد الخالق عضيمة، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٤٠١هـ-١٩٨١م. جـ ١/٥١.

(٥) أسباب تفوق لغة الضاد على اللغات الحية في الدقة التعبيرية، الدكتور/ محمود الذوادى، مجلة التعريب، العدد الرابع، كانون الأول ١٩٩٢م، ص٢٠.

ساميًا كالسماء، ووهّاجًا كالشمس، ومتقلبًا كالريح، ومحرقًا كالجحيم، ومدمرًا كالحرب)).(٦)

قال أبو حيان في ارتشاف الضرب في دخول تاء التأنيث علي الأسماء: ((أصل دخولها ، أي التاء في فصل وصف المؤنث من وصف المذكر، نحو: ضاربة وضارب. وفي فصل الآحاد المخلوقة من أجناسها، نحو: درة ودرر، وتمرة وتمرُ، وبقرة وبقر. وكون الأنثى من نحو بقرة بالهاء، والمذكر بطرحها. . . وحكوا: رأيت نعامًا علي نعامة، وحمامًا علي حمامة. . . وقد تأتي لفصل الأسماء الجامدة نحو: امرؤ وامرأة، ورجل ورُجَلة، وغلام وغلامة، وأسَد وأسَدة، وإنسان وإنسانة، وحمار وحمارة، وبرذون وبرذونة)).(٧)

أما اللغات السامية، شقائق اللغة العربية، التي منها: الأكادية، والعبرية، والسريانية، والحبشية، فقد فرقت، منذ وقت مبكر جدًا، بين المذكر والمؤنث بأداة تأنيث هي التاء، إلا أن العربية وحدها تطورت – دون أخواتها الساميات - فأضافت أداة أخرى للتفريق بين المذكر والمؤنث هي (الألف)، سواءً أكانت الممدودة أو المقصورة.

غير أن الأصل في هذه اللغات السامية أنها وضعت، في بداية الأمر، لكل واحد من نوعى الذكر والأنثى كلمة خاصة به، من نحو (الرجل) في مقابل (المرأة)، وكالولد في مقابل البنت، وهكذا. وفى ذلك يقول بهاء الدين بن النحاس في تعليقته على المقرّب: ((كان الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ غير لفظ المذكر، كما قالوا: عير وأتان، وجدي وعناق، وحَمَل ورَخْل، وحصان وحجر إلى غير ذلك، لكنهم خافوا أن تكثر عليهم الألفاظ، ويطول عليهم الأمر، فاختصروا ذلك بأن أتوا بعلامة فرقوا بها بين المذكر والمؤنث، تارة في الصفة كضارب وضاربة، وتارة في الاسم كامرئ وامرأة، ومَرْءٍ ومرأة في الحقيقي، ثم إنهم تجاوزوا ذلك

---

(٦) التأنيث في اللغة العربية، للأستاذ عبد الحق فاضل، مجلة اللسان العربي، العدد السابع ١٩٦٩م، ص٢٣٤

(٧) ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الدكتور مصطفي أحمد النماس، ط. النسر الذهبي، ط أولي ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج١/٢٩٤

إلى أن جمعوا بين اللفظ والعلامة للتوكيد، وحرصًا على البيان، فقالوا: كبْش ونعجة، وبلد ومدينة))[٨]

فهذه التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث أخَذت بها اللغات السامية حين كثرت عليها المعاني مع قلةٍ في الألفاظ. والمعروف أن الألفاظ متناهية، في حين أن المعاني غير متناهية؛ ولهذا فقد جعلت اللغات السامية هذه التاء وسيلتها الأولى للتفريق بين المذكر والمؤنث.

أ) فحين يُسند الفعل إلى الاسم المؤنث في هذه اللغات السامية، يلزم أن تقترن به هذه التاء إن كان المؤنث حقيقيًا، أي ذاتَ حِر كما يقول الإمام ابن مالك:

وَتَاءُ تَأْنِيثٍ تَلِي الْمَاضِي إِذَا كَانَ لأُنْثَى، كَ "أَبَتْ هِنْدُ الأَذَى"

وَإِنَّمَا تَلْزَمُ فِعْلَ مُضْمَرِ مُتَّصِلٍ، أَوْ مُفْهِمٍ ذَاتِ حِرِ

قال شارحه: ((تلزم تاء التأنيث الساكنة الفعل الماضي في مَوْضِعَين: أحدهما: أن يُسْنَد الفعلُ إلى ضميرٍ مؤنثٍ متصل، ولا فرق في ذلك بين المؤنث الحقيقي والمجازى، فتقول: هند قامت، والشمس طلعت، ولا تقول: قامَ، ولا طَلَعَ. فإن كان الضمير متصلاً لم يُؤتَ بالتاء، نحو: هِنْدُ مَا قَامَ إلاّ هِيَ. والثاني: أن يكون الفاعل ظاهرًا حقيقي التأنيث، نحو قامت هند، وهو المراد بقوله: (أو مُفْهِمٍ ذَاتِ حِرِ). وأصل (حِرِ): حِرِحٌ، فحذفت اللام)).[٩]

ب/ وتأتي هذه التاء أيضًا مقترنة بالأَسماء المؤَنثة للتفريق بينها وبين الأسماء المذكرة، وذلك فيما إذا اتّحدتا في الصيغة:

- فابن للمذكر، وابنة للمؤنث. - ومسلم للمذكر، ومسلمة للمؤنث.
- وأخ للمذكر، وأخت للمؤنث. - وقانت للمذكر، وقانتة للمؤنث.

---

(٨) الأشباه والنظائر، لجلال الدين السيوطي، تحقيق طه عبد الرءوف سعد. ط. مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م جـ١/٣١

(٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، ط. مطبعة السعادة بمصر (د. ت) ج٢/٨٨

ومن ثم فإن هذه التاء تأتى فارقةً بين المذكر والمؤنث في كل اللغات السامية.

أ) **اللغة الأكاديَّة:**

ففي اللغة الأكادية، يقال مثلاً:

- sartu (شارتو) =شَعَر، لأن الشعر مؤنث في الأكادية.
- baltu (بَلْتُو) =بَعْلة، أي زوجة.
- iristu (إرستو) = أرض ، والأرض مؤنثة في الأكادية.
- napistu (نابستو) = نفس، وهى مؤنثة في الأكادية.
- esemtu (إيسِمْتو)= عَظَمة.(١٠)

وحين نعود إلى اللغة الحبشية، نجدها هي الأخرى تَلْتَزِم هذه التاء، كما في نحو:

- (reset)= ميراث، لأن الميراث مؤنثة في الحبشة. ومثلها أيضًا:
- (habt)= هِبة، وهكذا.

وهناك وسيلة أخري للتأنيث جاءت بها اللغات السامية، والعربية منها على وَجْهِ الخصوص، للتفريق بين المذكر والمؤنث، هي الألف بشقيها: المقصور، والممدود. وقد انفردت العربية بهذه الألف بأصل وضعها للتأنيث دون سائر أخواتها الساميات.

صحيح أن هناك هاءً للتأنيث في العبرية، في نحو ל ד (يِلِذ)= وَلَد، و לדה (يِلْدَاهْ)= بنت، و: מ ל כ (ملخ)= مَلِك، و מ ל כ ה (ملكاه)= ملكة، وصحيح أيضًا أن هناك ألفًا في الآرامية تأتي في آخر الكلمة للدلالة على التأنيث، في نحو: ק פ ך ד ה (قِپودَا)= قنفذة، و מ ך ש ח ה (مُوشْحَا)= عجلة ،و ע ק ר ב ה (عَقْرْبَا)= عقربة، أي عقرب. فكل هذه الكلم وأشباهها مؤنثة بالألف، إلاَّ أن الألف فيها ليست ألفًا أصلية كأصالة الألف في حمراء وصحراء، وإنما هي منقلبة عن التاء؛ وذلك بسبب كثرة الاستعمال.(١١)

---

(١٠) تاريخ اللغات السامية. لإسرائيل ولفنسون، ط. دار القلم، بيروت، لبنان ١٩٨٠م، ص ٤٩، م. ونصوص من اللغات السامية، للدكتور/ رمضان عبد التواب، ط. القاهرة ١٩٧٩ م. ص ٨، ١٥.

(١١) في قواعد الساميات، للدكتور رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨١ م، ص ٣٧

ولعل من الممكن، بعد هذا كلهُ، أن نضرب أمثلة للتأنيث بالتاء في اللغات السامية، شقائق اللغة العربية، في غير المواضع التي مّرت بنا.

ب) اللغة العبرية:

أما في اللغة العبرية، فتقترن التاء بالاسم المؤنث في صورة (هاء) في حالة الوقف، إلا أن هذه الهاء ترجع إلى أصلها وهو التاء في حالة الإضافة، فمن ذلك مثلا:

ל ד(يلذ)=وَلد، في مقابل ל ד ה (يلذاه) = بنت، غير أن هذه الهاء في (يلذاه) ترجع، في حالة الإضافة، إلى التاء، فتصبح ל ד ת מ ך ש (يلذث موشى)=بنت موسى، حيث تحولت المدَّة الطويلة المنتهية بالهاء، وهى حركة القامص في (يلذاه) إلى تاءٍ ،لكنها تُنطق في العبرية ثاء لأسباب سياقية تركيبية تتصل بحروف (بجد كفت:) ב ג ד כ פ ת.(١٢)

فهذه التاء التي أصبحت ألفًا في حالة الإطلاق، أي الوقف، هي قريبة من استعمالنا الدارج لتاء التأنيث التي تصير ألفًا ممدودة، في نحو: ((شَجَرَا كبيرا، والبنت أميَرا، ربطوا لها الحريرَا وسووا لها الضَّريرَا)). (١٣)

وتمضى العبرية في التذكير والتأنيث على الوتيرة نفسها، ففيها:

ש נ ה (شاناه) = سنـة، فإذا أضِـيفت إلى كلمة أخرى ظهرت هذه التـاء، وذلك في نحو: ש נ ת ר ך ח מ ה (شانث روحماه) سنة الرحمة، للسنة الوفيرة الخيرات. ومن هذا الباب أيضًا:

ק צ ה (قيصاه) = رَاوٍ، وجمعه ק צ ה (قيصث)= رواة.

ר ך ש ה (روشاه)= بداية، وجمعها: ר ך ש ת (روشيث)= بدايات.

---

(١٢) في قواعد الساميات ص ٣٧.

(١٣) وأصل الكلام: شجرة كبيرة، والبنت أميرة، ربطوا على يديها الحريرة كما يفعلون ذلك في الختان وفى الأعراس، والضريرة أي الذريرة هي: الصَّنْدَل المهروس جيدًا، المخلوط بالعطور، يُجعل على رأس العروس يوم زفافها، كما يُجعل على رؤوس البنات عند ختانهن، وربما جعلوها على رؤوس الأولاد عند الختان أيضًا، وقد تجعل على رؤوس بعض العرسان. والضريرة من العطور السودانية الخالصة.

ב ר ה (باراه)= بقرة، وتصبح في حالة الإضافة ב ר ת מ ך ש (بارث موشى) بقرة موسى، حيث تحولت الألف، بسبب الإضافة، إلي ثاء، وهكذا. (١٤)

جـ. اللغة السريانية:

أما في اللغة السريانية، فإن تاء التأنيث قد تحولت، في الأسماء غير المضافة، إلى ألف ممدودة في آخر الكلمة، تشبه تمامًا ألف التعريف المقابلة لِـ (أل) التعريف في العربية، وليس من فرقٍ بين ألف التأنيث وألف التعريف في السريانية إلا صلاحية تغيّر ألف التأنيث إلى ثاء في حالة الإضافة. فمن ذلك مثلاً:

- ܒܝܫ (بِيش) = رديء، ومؤنثة ܒܝܫܬܐ (بِيشَا) = رديئة.
- ܛܒ (طاب) = طيب، ومؤنثه ܛܒܬܐ (طوثا) = طيبة.
- ܬܠܡܝܕ (تَلْمِيذْ) = تلميذ، ومؤنثه ܬܠܡܝܕܬܐ (تلمِيذَا) = تلميذة.
- ܫܦܝܪ (شَفِّير) = جميل، ومؤنثه ܫܦܝܪܬܐ (شفيرا) = جميلة، وهكذا.

وحين تُضاف هذه الأسماء المنتهية بالألف إلى غيرها من الأسماء، فإن هذه الألف الممدودة، المنقلبة عن التاء، ترجع مرة أخرى إلى أصلها، فتعود تاءً كما كانت من قبل؛ لكنها لأسباب سياقية متصلة بقواعد اللغة السريانية، تُنطق ثاءً، حيث لا ثاء أصلية في اللغة السريانية، وذلك في نحو:

- ܒܝܫ (بيش) = رديء، ومؤنثــه ܒܝܫܬܐ (بِيشَا). وحين تضاف إلى اسم آخر تصبح ܒܝܫܬ ܐܝܬܢܝܢ (بِيشَتْ إيتَانِينْ) = رديئة الأُتُن ، أي الحُمُر.

- ܟܬܐܦܐ (كْتَافَا) = كتاب، وحين يضاف إلى اسم آخر يصبح ܟܬܐܦܬ ܡܘܫܐ (كْتَافَتْ موشى) = كتاب موسى.

---

(١٤) في قواعد الساميات ١٣٢ – ١٤٠.

- ተለምደ (تلميدا) = تلميذة، وحين تضاف إلى اسم آخر تُصبح ተለምደ ክርስቶስ (تَلْمِيذَتْ مِشِّيحَا) = تلميذة المسيح. (١٥)

د/ اللغة الحبشية:

أما اللغة الحبشية، من بين اللغات السامية، فقد التزمت بالتاء في الأسماء المؤنثة التزامًا تامًا، ولم تدفعها الحاجة إلى تغييرها، أو إلى إبدالها ألفًا كما رأينا ذلك في العبرية، وفى السريانية. فمن ذلك مثلاً:

- : እመት (emat) = إمَت، جارية.
- : ሕየወት (haywat) = حياة.
- : ረጠብት (rettebat) = رطوبة.
- : ግነት (gannet) = جنة.
- : ረገየት (reggeyat) = رقية، سِحْر.(١٦)

ونخلص من ذلك كله إلى أنَّ اللغتين: العبرية والسريانية تفرقان بين المذكر والمؤنث بالتاء إلاّ أن هذه التاء تتحول بكثرة الاستعمال إلى مجرد (هاء) في العبرية، كما هو الحال في العربية عند الوقوف عليها، في نحو شجرهْ، كبيرهْ، ظليلهْ. من ذلك مثلاً: ש נ ה (شَنَانَاهْ)= سنة ،و ב ר ה (باراه)= بقرة ،و ש מ ל ה (شِمْلاهْ)= ثوب، إلا أن هذه الهاء، كما رأينا، تتحول إلى (ثاء) في حالة الإضافة؛ لأسباب سياقية تتعلق بطرق الصرف والتصريف في العبرية، من نحو: ברה(باراه)بقرة ،التي تصبح في حالة الإضافة ברת מ ך ש (بيرث موشى)= بقرة موسى. ونحو ש מ ל ה (شملاه) التي تصبح في حالة الإضافة ש מ ל ת ב ת ך ל ה(شملت بَتولا)= ثوب البتول، وهكذا.(١٧)

---

(١٥) في قواعد الساميات ٤٢

(١٦) في قواعد الساميات ٣٧.

(١٧) في قواعد الساميات ١٣٣.

أما اللغة السريانية، ففيها أيضًا، كما رأينا، تاء التأنيث، لكنها تحولت بكثرة الاستعمال إلى مجرد ألف تلحق آخر الأسماء الموقوف عليها في نحو: ܟܢܦܐ (كينڤا)=جناح ،و ܫܦܝܪܬܐ (شفيرتا)=جميلة، وهكذا.(١٨)

هـ) اللغة العربية:

أما اللغة العربية، فقد عالجت قضية التأنيث بأربع طرق، هي:

الأولى: أن يكون في الاسم المؤنث علامة تميزه عن المذكر، كالتاء في قولك: خديجة، وفاطمة، وأمامة، والألف المقصورة في نحو: ليلى، وسعدي، وحُبَّى، والألف الممدودة في نحو: عفراء، ولمياء، وظمياء. فالتاء، والألف المقصورة هي علامات فارقة بين المذكر والمؤنث.

الثانية: أن يكون الاسم مُسْتغْنِيًا عن علامة التأنيث؛ وذلك لقيام معنى التأنيث فيه، كقولك: زينب، ونوار، وهند، ودعد، وبتول. فهذه الأسماء وأمثالها معلوم فيها التأنيث بأصل وضعها، ولا حاجة لها لعلامة تميزها عن المذكر؛ وذلك لِشُيُوعها، ولِشُهرتها بين المتكلمين بالعربية حتى صارت عندهم كالمعلوم بالضرورة.

الثالثة: أن يكون الاسم المذكر مخالفًا لفظه لفظ المؤنث، بمعنى أن العرب صاغت للمذكر اسمًا. وللمؤنث اسمًا آخر مُخالِفا له، وذلك نحو: حمار وأتان، وجدي وعَنَاق، وحَمَل ورَخْل، ورجل وامرأة، ورجال ونساء ونحوها. فهذه الأسماء لا تحتاج إلى العلامات الفارقة بين المذكر والمؤنث.

غير أن العرب تزيد التاء أحيانًا في صيغ المؤنث استيثاقًا، فقد قالت: شيخ وعجوز، وربما قالت: شيخة وعجوزة للاستيثاق.(١٩) وهذه التاء قليلة في الفصيح من كلام العرب. ذلك أن التاء في عجوزة كالتاء في زوجة، في قول ذي الرُّمّة:

أذو زوجةٍ بالمِصّر أم ذو خُصُومةٍ أَرَاكَ لها اليومَ بِالمِصْرِ ثَاوِيَا

---

(١٨) في قواعد الساميات ص١٣٦.

(١٩) المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٥١/١.

ذلك أن العربية القديمة لا تعرف تأنيث (زوج)، وعجوز، وعروس ونحوها بالتاء، وإنما جاء فيها: هذا زوجٌ، وهذه زوجٌ، ورجلٌ عروسٌ وامرأة عروس؛ ولذلك فإن قولهم: (زوجة) وعجوزة، وعروسة ونحوها، هو من لغة المولّدين، أو ليست هي باللغة العالية. قال ابن منظور: ((أما الزوجُ، فأهل الحجاز يضعونه للمؤنث والمذكر وضعًا واحدًا، تقول المرأة: هذا زوجي، ويقول الرجل: هذه زوجي. . . قال تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ [سورة النساء الآية ٢٠]).[٢٠]

أما زوجة، فيقال: أول ما وردت في شعر ذي الرمة، وهو من طبقة الإسلاميين الذين لا يعتد أصحاب التنقية اللغوية، كأبي عمرو بن العلاء، والأصمعي، بلغتهم، ويرونها محدثة. وقد حكوا عن أبى عمرو بن العلاء قوله: ((لقد كَثُر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته)). وكان الأصمعي يخطّئ ذا الرمة في شعره، ويقول: ((ذو الرمة جَرْمُقَاني طالما أكل المالح في حوانيت البقّالين)). يريد أنه ترك البادية، ودخل المدن، فأكل الحلوى والمطعومات، ومن ثمَّ طَرِىَ جِلده، وفَسَد لسَانُهُ.[٢١]

وجعل العلماء من هذا الباب أيضًا قول عبد يغوث الحارثى:

وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كَأَنْ لَمْ تَرَىْ قَبْلِي أَسِيْرًا يَمَانِيًا

فزوجة، وشيخة، وعروسة ونحوها إنما زيدت فيهن التاء للاستيثاق، لكنها ليست باللغة العالية.[٢٢]

الرابعة: أن يكون الاسم الذي فيه علامة التأنيث واقعًا على المذكر والمؤنث معًا، كنعامة، للذكر والأنثى، وبقرة للذكر والأنثى، وجرادة للذكر والأنثى، وسمكة للذكر والأنثى، ونملة، ونحلة، وذبابة ونحوها.

---

(٢٠) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، ت. ٧١١هـ، ط المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٨ هـ، ١٨٩١ م جـ ١١٦/٣.

(٢١) الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. دار المعارف بمصر ١٩٥٨م ، ٦٣/١.

(٢٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، للمرزباني تحقيق علي محمد البجاوي، ط. القاهرة ١٩٦٥، ص ١٨٠، و(الجرامِقَة: قومٌ بالموصل، أصلهم من العجم). لسان العرب ٣١٨/٣.

والأصل في هذا الباب أن كلمات مثل: جرادة، ونعامة، بقرة، وسمكة ونحوها هي من باب اسم الجنس الإفرادي، المقابل لاسم الجنس الجمعي. فاسم الجنس الإفرادي يُفَرَّق بين مفرده وجمعه بالتاء، فيقال: شجرٌ للجمع، وشجرة للمفرد، ومثل ذلك: بقر وبقرة، وثمر وثمرة، ونعام ونعامة، ونحلٌ ونحلة.

وأما اسم الجنس الجمعي فيفرق بينه وبين واحده بالإضافة، فيقال: عربٌ للجمع، وواحده عربّي، وروم للجمع، وواحده روميّ، وسودان وسوداني، وترك وتركي، وحبش وحبشي.(٢٣)

وقد لخص لنا هذا الباب العلاّمة ابن مالك، فيما نقله عنه الأشموني، بقوله: ((الأصل في لحاق التاء الأسماء إنما هو تمييز المؤنث من المذكر، وأكثر ما يكون ذلك في الصفات، نحو: مسلم ومسلمة، وظريف وظريفة، وهو في الأسماء قليل نحو: رجلٌ ورجلة، وامرؤ وامرأة، وإنسانٌ وإنسانة، وغلام وغلامة، وفتًى وفتاة.

- وتكثر زيادة التاء لتمييز الواحد من الجنس في المخلوقات، نحو: تمر وتمرة، ونخل ونخلة، وشجر وشجرة.

- وقد تُزاد التاء لتمييز الجنس من الواحد، نحو: جبأة (ضرب من الكمأة أحمر) وَجبْء، وكمأة وكَمْء.

- وتُزَادُ لتمييز الواحد من الجنس في المصنوعات، نحو: جّر وجرَّة، ولبن ولبَنَة، وقلنْسُوّ وقلنْسُوَّة، وسفين وسفينة.

- وقد يُجاء بها للمبالغة، كراوية لكثير الرواية، ولتأكيد المبالغة كعلامة، ونَسَّابَة.

- وقد تجيء مُعَاقِبَة لياء (مفاعيل) كزنادقة، وجحاجحة (سادة)، فالياء والهاء مُتعَاقِبَتان.

- وقد يجَاء بها دَالة على النّسب كقولهم: أشعثي وأشاعثة، وأزرقي وأزارقة، ومهلبي ومهالبة.

---

(٢٣) المذكر والمؤنث، لابن الأنباري ٥٢/١ ـ ٥٦ و شرح المفصل لابن يعيش، ط. المطبعة المنيرية (د. ت) ١٩/١، ٧١/٥.

- وقد يجاء بها دالة على تعريب الأسماء المعجمة، نحو كيلجة وكيالجة، وموزج وموازجة.
- وقد تكون لمجرد تكثير حروف الكلمة كما في نحو: قرية، وبلدة، وغرفة، وسقاية.
- وقد تجيء عوضًا عن فاء، نحو عِدَة، أو من عين نحو (إقامة)، أو من لامٍ نحو (سنة).
- وقد عوّضت من مَدَّةِ (تفعيل)، نحو: تزكية، وتنمية، وتروية.
- وقد تكون التاء لازمة فيما يشترك فيه المذكر والمؤنث، كربعة للمعتدل القامة من الرجال والنساء.
- وقد تلازم التاء ما يخص المذكر، كرجلٍ بُهمة، وهو الشجاع.
- وقد يجيء في لفظ مخصوص بالمؤنث لتأكيد تأنيثه، كنعجة، وناقة. ومنه: حجارة، وصقورة، وخئولة، وعمومة، فإنها لتأكيد التأنيث اللاحق للجمع.(٢٤)

وما قدمناه من تعدد مواقع تاء التأنيث في العربية، هو الذي جعل المستشرق برجشتراسر يشتكى من صعوبة التفريق بين المذكر والمؤنث في العربية بقوله: ((والتأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو، ومسائلهما عديدة مشكلة، ولم يوفق المستشرقون إلى حلها حلا حازمًا مع صرف الجهد الشديد في ذلك. . . وأما تاء التأنيث بالأخصّ، فهو كثير الاضطراب والتخالف)).(٢٥)

ويبدو أن الذي أزعج المستشرق برجشتراسر هو أن هناك أسماء في العربية تقع على المذكر والمؤنث، ولا علامة للتأنيث فيها، وإنما يُعرف ذلك بالسياق، وهو من أسرار اللغة العربية، وذلك نحو: (عقرب)

---

(٢٤) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط. دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، (د. ت) جـ ١٨٢/٤ - ١٨٣، والأشباه والنظائر للسيوطي ١١٨/٢ - ١١٩.

(٢٥) التطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر، مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، ط. مكتبة الخانجي بمصر، ودار الرفاعي بالسعودية ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ١٣- ١٤.

التي أطلقتها العرب على الذكر والأنثى، إذ لم تعرف العربية (عقربة) وإنما عرفتها اللغات السامية الأخرى، كالآرامية التي فيها (عقرڤا)= عقربة. وقالت العرب: ضبع للذكر والأنثى، ومثلها (أفعى) يقع على الذكر والأنثى، والبرذون، والأيل، والبعير، ومثلها: إنسان، يقع على الذكر والأنثى، وأما (إنسانة) للمؤنث، فإن العرب لا تعرفها، وإنما هي من لغة المولدين. قال ابن منظور: ((ويقال للمرأة أيضًا: إنسان، ولا يقال: إنسانة والعامة تقوله. . . والإنسان أيضًا: إنسان العين، وهو المثال الذي يُرى في السواد)).(٢٦)

ويلزمنا - بعد هذا كله - أن نعود إلى قضيتنا الأساس: قضية (تذكير المؤنث) في الصحف والدواوين السودانية، فنعرض لها في ضوء أبواب النحو العربي، ونُقَسِّم تلك العبارات الخلاسيةverses grossbreaded التي لا هي بالعربية الفصيحة، ولا هي بالأعجمية المستغلقة، وفق أبواب النحو العربي، إلى قسمين:

أ) أخبار جامدة لمبتدآت. ب) وأخبار مشتقة لمبتدآت.

أ) فمن الأخبار الجامدة المفردة لمبتدآت، قولهم:

١- مولانا ابتسام. ٤ - وفاطمة وزير التنمية الاجتماعية.

٢ - ودكتور سلمى. ٥ - وسعاد رئيس الدائرة القانونية.

٣ - وهدى أخصائي الأطفال. ٦- وسلمى أمين عام اتحاد المرأة.

فهذه العبارات ونحوها، يمكننا وضعها نحويًّا في باب المبتدأ والخبر على أحسن الأوجه. ذلك أن الأسماء الأولى منها: مولانا، ودكتور، ووزير الخ هي مبتدآت، وما جاء بعدها يمكن حملها على الأخبار. والخبر، كما يقول ابن مالك:

... الْجُزْءُ الْمُتِمُّ الفَائِدَةْ كَاللهُ بَرٌّ وَالأَيَادِي شَاهِدَةْ

وقد ذهب جمهور النحاة إلى وجوب المطابقة بين المبتدأ والخبر إفرادًا، وتثنية، وجمعًا، وتذكيرًا، وتأنيثًا بمعنى إن كان المبتدأ مثنى، فلابد

(٢٦) لسان العرب لابن منظور ١٣/٦.

للخبر من أن يكون حَاوِيًا ضميرَ المثنى، نحو: الولدان يكتبان الدرس، والبنتان ناجحتان، وإن كان جمعًا كذلك، ومثل ذلك إن كان مذكرًا، أو مؤنثًا، نحو: محمد ناجح، وبثينة ناجحة، وهكذا. وهذا هو معنى قول ابن مالك:

وَالْمُفْرَدُ الْجَامِدُ فَارِغٌ وَإِنْ يُشْتَقَّ فَهْوَ ذُو ضَمِيرٍ مُسْتَكِنْ

أي إن كان الخبر المفرد اسمًا جامدًا، فلا يشترط فيه تحمّل ضمير يعود للمبتدأ، فنقول: زيدٌ أسدٌ، وخالد ثعلب، وبكرٌ أبوك، فأسد، وثعلب، وأبوك أسماء جامدة، لا يُشترط فيها أن تحتوى على ضمير يعود للمبتدأ، قال في أوضح المسالك في الخبر المفرد: ((والمفرد إما جامد، فلا يتحمل ضمير المبتدأ، نحو: هذا زيدٌ، إلاّ إن أُوِّلَ بالمشتق، نحو: زيد أسد، إذا أُريد به شجاع)).(٢٧)

ب) وأما الأخبار التي تدخل في باب المشتقات، فكقولهم:

١- سلوى المحامى وموثق العقود.

٢- وعنايات الموجه الأول للغة الإنجليزية.

٣ - ورائد شرطة سعدية.

٤ - وعزيزة أمين عام اتحاد المرأة بالولاية.

ودكتور سلمى، ونحو ذلك.

فهذه الأمثلة ونحوها يمكننا حملها على الأخبار المشتقة لمبتدآت هي: سلوى، وعنايات، وسعدية، وعزيزة، وسلمى الخ، ومادامت هذه الأخبار مشتقة، فإنه يشترط فيها أن تحتوى على ضمير يعود للمبتدأ. قال ابن مالك: ((وأما (الخبر) المشتق فيتحمل ضميره، نحو: زيد قائم، إلاّ إنْ رفع الظاهر، نحو: زيد قائم أبواه. ويبرز الضمير المتحمل إذا جرى الوصف على غير من هو له، سواء ألبْس، نحو: غلام زيد ضاربه هو،

(٢٧) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لجمال الدين بن مالك ت٧٦١هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط. المكتبة العصرية، بيروت (د. ت) ج١/١٩٤.

إذا كانت الهاء للغلام، أم لم يُلبس، نحو غلام هند ضاربته هي))[٢٨] ؛ ولهذا كله يجب أن يقال، فيما عرضنا له آنفًا من قضية تذكير المؤنث.

سلمى محامية وليست محامٍ، وموثقة العقود، وليستْ موثق العقود كما هو شائع بين المحامين، إذ يجب أن تحتوى الصفة المشتقة على ضمير يعود إلى سلمى، كأن يقال مثلاً: سلمى حامت أو تحامى عن فلان في القضية الفلانية، وهى وثقت أو توثق العقود.

وعنايات الموجهة الأولى للغة الإنجليزية، لا (الموجه الأول)، بمعنى أنها توجه الأساتذة في اللغة الإنجليزية. ومثل ذلك يمكن أن يقال في سعدية رائدة شرطة، لا (رائد شرطة)، وعزيزة أمينة اتحاد المرأة، لا(أمين عام اتحاد المرأة) كما هو شائع.

ويلزم أن يقال كذلك: دكتورة سلمى، لا (دكتور سلمى)، وذلك لأن سلمى طبيبة، أي متطبّبة، بمعنى طبَّبَتْ أو تطبّبُ، أي تعالج المرضى.

وإن كانت الدكتوراه درجة علمية، فيلزم أن يقال فيها أيضًا: دكتورة سلمى، أو سلمى دكتورة، بمعنى أن سلمى حازت، أو حصلت على درجة الدكتوراه، إذ لا يجوز أن يقال: سلمى حازَ، أو حصلَ على درجة الدكتوراه؛ وذلك لأن الضمير العائد على الاسم المتقدم واجب فيه المطابقة. قال ابن الأنباري في لحاق التاء بالأسماء المؤنثة التي جاءت على (فعيل): ((وربما ادخلوا الهاء وأضافوا، فقالوا: فلانة أميرة بني فلان، ووكيلة بني فلان، ووصية بني فلان. أنشدنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء لعبد الله بن هَمّام السَّلُولِيّ:

ولَوْ جاءُوا بِبَرَّةَ أَو بِهِنْدٍ لَبَايَعْنَا أَمِيرَةَ مُؤْمِنِينَا

وكذلك يقولون: فلانة كفيلة بني فلان، فيدخلون الهاء لأن الكفالة تكون في الرجال والنساء. وكان السجستانى يُسَوّى بين كفيل وأمير، وهذا غلط منه؛ لأنّ الإمارة لا تكاد تكون في النساء، والكفالة تكون في الرجال والنساء، وقال أبو زيد الأنصاري سمعت العرب تقول: وكيلات، فهذا يدل على وكيلة. [٢٩]

---

(٢٨) أوضح المسالك ١/١٩٥.

(٢٩) المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ١/١٤٣-١٤٤.

وإذا كانت هذه هي أحوال الاسم المؤنث في العربية، فمن أين جاءتنا هذه اللغة الخلاسية في نحو قولهم:

- بثينة المحامى وموثق العقود.
- وسمية أمين عام اتحاد المرأة، أو نائب أمين عام اتحاد المرأة.
- وعلوية المستشار القانوني بالشركة.
- وبلقيس مدقق حسابات الشركة، ونحوه؟

نعم، لقد أشرنا من قبل إلي أن شُبهة إسقاط علامة التأنيث من الأسماء المؤنثة، جاءت إلينا من قِبَل قراء الإنجليزية في السودان، إذ كانت لغة التدريس بالجامعات المدنية في السودان، إلي وقت قريب، هي اللغة الإنجليزية، ومن ثمّ تشبَّعَ القومُ بها وبثقافتها، مما جعلهم يذهبون إلي قياس ضوابط اللغة العربية وقواعدها، دون أن يشعروا بذلك، بضوابط وقواعد اللغة الإنجليزية، وهما، من حيث علم اللغة، من أسرتين مختلفتين، ومن هنا جاء هذا الاضطراب المخلّ بأساليب العربية على النحو الذي عَرَضْنَا له آنفًا.

واللغة الانجليزية نفسها، كما يبدو لنا من مراجعتنا أصولها القديمة، كانت تفرق إلى حدٍّ ما، بين المذكر والمؤنث فيما يعرف عندها بالأسماء المحايدة Neutral names، لكنها ما لبثت أن تطورت فتخلت عنه، ذلك أننا نجد في الإنجليزية القديمة: إنجليزية القرن السادس عشر، كلمات من نحو Doctor للمذكر، في مقابل Doctoress للمؤنث.

والدكتور، في أصل معناه، هو المعلم، أو الأستاذ في المعاهد اللاهوتية القديمة، أو هو معلم اللاهوت في الكنيسة، ثم ما لبث أن تطورت دلالته، فصار يُطلق في كثير من الأحيان، على حاملي الدرجات المهنية والعلمية الرفيعة. غير أن الناس بدأوا، في الآونة الأخيرة، يطلقونها على غير المهن ذات الجهد الفكري، فقد أطلقوها على المغنين، والرياضيين، والممثلين، والذوَّاقين (ذوَّاقِي الأطعمة بالفنادق العالمية)، ومُصَفِفِي شعور النساء (المشَّاطين)، ومصمّمِي أزياء النساء (الطرزية)، وعلى غير هؤلاء من أرباب المهن التي لا علاقة لها بالجهد العقلي. ولم يبق من أصحاب المهن والحرف الذين لم يبتسم لهم الحظ لنيل درجة

الدكتوراه في مجال تخصصاتهم سوى الجزارين، والخبَّازين، والحدّادين، والحوذيّة، وغيرهم من أرباب المهن الشعبية اللصيقة بحياة عامة الناس.

ومن هذا الباب أيضًا – باب تأنيث الوظائف والألقاب في الإنجليزية القديمة prince بمعنى أمير، للمذكر، في مقابل princess بمعنى أميرة للمؤنث. ومثل ذلك أيضًا:

. Mr بمعنى (سيد) للمذكر، في مقابل Mrs. بمعنى (سيدة) للمؤنث، وهكذا.

ولعل من المفيد، بعد هذا كله؛ أن نقف على حقيقة هذا التأنيث في انجليزية القرن السادس عشر، حسبما جاء في معجم أكسفورد التاريخي:(٣٠)

وقد جاء في هذا المعجم، على سبيل المثال، كلمات مثل:

(Soliciter (1551

a soliciter: one who preparely qualified and formarly admitted to practise as a law agent in any court of equity.

One who solicits or begs favours، pleader، intercessor، hence soliciteress، soliciterex: a female of soliciter.(٣١)

(Doctor (1549:

Generally: one who inculcate learning opinions، one who skilled in and therefore competent to teach.

(Doctoress: a female doctor. (now only when sex is emphasized).(٣٢)

Inspector:

One who inspects or looks carefully at، or into.

Inspectoress: a female of inspector.(٣٣)

---

(٣٠) The oxford English dictionary on historical principles prepared by William little، Edited by oxford prin. 1975-1977. ،clearendon press

(٣١) oxford Eng. dict. ، voll. 2 ،p2045.

(٣٢) oxford Eng. dict. voll. 1 ، p546.

(٣٣) oxford Eng. dict. voll. 1 ، p1016.

Leader:

Leader: one who leads the member of the government who has the official initiative، in the proceeding of the house، hence. .

Leaderess: a female of leader. (٣٤)

وما قدمناه من أمثلة من الإنجليزية القديمة، في معجم أكسفورد التاريخي، يوضح بجلاء أن اللغة الإنجليزية نفسها كانت، في عصورها القديمة، تفرّق بين المذكر والمؤنث، بأداةٍ هي (ess)، لكنها ما لبثت أن تطورت في الأربعة القرون الأخيرة، فتخلت عن ذلك، ومن ثم أصبح المذكر والمؤنث، فيما يتصل بالحِرَفِ والمهن ونحوهما، سواءً في نظرها، ومن هنا جاء الَّتوهُّم، فيما يبدو، إلى قراء الإنجليزية عندنا في السودان حين قاسوا أساليب العربية بأساليب الإنجليزية، وهما كما ذكرنا من أسرتين لغويتين مختلفتين، فنشأ في أذهانهم هذا الخطأ الناشئ مما يعرف في علم اللغة بالقياس الخاطئwrong measurement، فأدى ذلك إلى خلطٍ في المعايير عندهم، ومن ثم تراهم يذكرون المؤنث، فيقولون:

- هدى محاضر في علم النبات، ودكتور فاطمة، أخصائي (اختصاصي) أمراض النساء والتوليد.

- والأستاذ الدكتور (بروفسور) عنايات، ونحو ذلك.

- وهذا كله، كما ترى، خبط عشواء، لا سبيل إلى قبوله في العربية. ذلك أن الإنجليزية التي اعتمدها القوم أساسًا لقياس العربية عليها كما رأينا، قد تخلت في مراحل تطورها الأخيرة عن التفريق بين المذكر والمؤنث، في حين أن العربية لغة القرآن الكريم قد التزمت بذلك كله التزامًا صارمًا؛ ولهذا ينبغي أن يقال في الأمثلة المتقدمة ونحوها:

- دكتورة فاطمة، اختصاصية أمراض النساء والتوليد، لا أخصائي كما هو شائع.

- وسمية الأمينة العامة لاتحاد المرأة، لا الأمين العام كما أشاعها بعضهم.

- وعلوية المستشارة القانونية، لا المستشار القانوني.

- وبثينة المحامية وموثقة العقود، لا المحامى، ولا موثق العقود.

---

(٣٤) oxford Eng. dict. voll. 1 ، p1119.

- وآمنة وزيرة الشؤون الاجتماعية، وليست وزيرًا للشؤون الاجتماعية، وهكذا.

ولعل من المفيد أن نسوق هنا بعض الأمثلة التي تُظهر لنا بجلاء تخلى اللغة الإنجليزية عن التفريق بين المذكر والمؤنث، لا في الأسماء الجامدة، ولا في النعوت وحسب، وإنما في الموصولات clauses أيضًا. فإذا كانت العربية تفِرق بين اسم الموصول المذكر والآخر المؤنث بكلمتي (الذي) و(التي) في حالة الإفراد، فإنهما في الإنجليزية اليوم شيء واحد ولا فرق. مثال ذلك قولهم:

١\ The boy who came to the school early today was Ahmad.

١٢\ The girl who came to the school early today was Amna.

فلو ترجمنا هاتين الجملتين إلى العربية ترجمة حرفية لقلنا:

الولد الذي جاء إلى المدرسة مبكرًا اليوم أحمد.

والبنت الذي جاء إلى المدرسة مبكرًا اليوم آمنة.

Ahmed is a teacher - Maha is a teacher

مثال آخر:

وترجمتهما الحرفية إلى العربية هي: أحمد مدرس، ومها مدرس، وليس من فرق بينهما كما ترى.

ويبدو أنه من هذا السلوك الخلاسى للغة الإنجليزية، أخذ بعض كتابنا السودانيين يرددون مقولة مفادها ((أن الوظائف لا تؤنث)). فهذه المقولة إن صحّ قبولها في ضوء قواعد اللغة الإنجليزية، فيما يسمى بالأسماء المحايدة Neutral names، فإنها لا تصح في اللغة العربية، ذلك أن الإنجليزية تجعل الأسماء أنواعًا ثلاثة، هي:

مذكر male

مؤنث female

ومحايد Neutral

ومن ثم فإن الوظائف في الإنجليزية، كما يرونها، تدخل في باب (الأسماء المحايدة)، ومن هنا جاء التوهّم لدى قراء الإنجليزية في السودان، من وصفهم المرأة الموظفة، أو صاحبة المهنة بأوصاف الرجال، وإلباسهم إياها أثواب الذكورة، وهى منها براء.

والواقع أن الوظيفة، من حيث هي وظيفة، لا تقف شاخصة وحدها، أو أن تكون معلقة في الهواء كما يقولون، إنما لا بدّ لها من شخص يحتلها، أو يتصف بها؛ وذلك لأنها ذات وضع معنوي، أي اعتباري، لكن الموظف الذي يشغل هذه الوظيفة إما أن يكون رجلا أو امرأة، ولا ثالث لهما (محايد) في نظر اللغة العربية، فإنْ شغلها رجل، فلا بد من أن يُنعت بنعوت الرجال، أي يوصف بأوصاف الرجال، فيقال مثلاً: دكتور محمد أحمد، ومولانا محمد أحمد، ومحمد أحمد المحامى وموثق العقود، ومحمد أحمد المستشار القانوني للشركة. . . الخ

وأما إن شغلت هذه الوظيفة امرأة، فلا بدَّ أيضًا من أن ننعتها بنعوت الإناث، إذ لا يجوز في العربية خلط المعايير؛ ولذلك يجب أن يقال: سعاد المحامية وموثقة العقود، ودكتورة سمية لا (دكتور)، ومولاتنا ابتسام لا (مولانا) كما هو شائع، تمامًا كما يقال: إجلال القاضية، ورقية مفتشة الحسابات، وهكذا في باقي الوظائف، من نحو:

رائدة شرطة نوال.

ومقدمة شرطة سجون أم كلثوم.

وعقيدة شرطة جمارك أم بشائر، ونحو ذلك من المستحدثات التي ركب الناس فيها شطط تقليد الغرب، حتى إنهم لو دخلوا جحر ضَبٍّ خرب لدخلوه معهم.

وفى معنى (مولانا ابتسام) حسبما هو شائع في الصحف والدواوين، يقول الزبيدى: في تاج العروس: ((المولى: المالك، من وَلِيَهُ ولاية: إذا ملكه، ويُطلق على العبد مولى، والأنثى بالهاء – أي مولاة)).(٣٥)

وتأسيسًا على هذا النص فإنه لا سبيل إلى قبول قولهم: (مولانا ابتسام) ونحوه، وإنما الوجهُ أن يقال: مولاتنا ابتسام، على فرض صحة ولاية المرأة في الشريعة الإسلامية كما سبق أنْ بيَّنا.

---

(٣٥) تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥هـ، ط. المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة ١٣٠٦هـ ج ٣٩٩/١٠.

ويجدر بنا أن نشير بآخره إلى قاعدة العربية في تذكير النعوت وفى تأنيثها، وهى أن الصفة أي النعت المشتق، يعدّ متصرفًا أي كالفعل تمامًا، يحتوى على ضمير يعود إلى الموصوف. فمن ذلك مثلا قولهم:

محمد شجاع، فشجاع مثل: شَجُعَ، يحتوى على ضمير يعود إلى محمد، والأمر نفسه ينطبق على الموصوف المؤنث، فلو قلنا: آمنة محامية، فإن محامية مثل حامت أو تحامى، محتوية على ضمير يعود إلى آمنة.

وبمعنى آخر فإن النعت (المشتقّ) يحتوى على ضمير يعود إلى المنعوت؛ ولهذا فلو عرضنا لقولهم: (سمية المحامى، وآمنة موثق العقود)، فما نوع الضمير الذي يعود إلى أيّ منهما؟

ونخلص من ذلك كله إلى أن هذا الخطأ في التذكير والتأنيث الذي اتسمت به الصحف والدواوين السودانية، إنما أشاعَهُ بين الناس قراء الإنجليزية في السودان الذين توهموا أن سلوك العربية، في التذكير والتأنيث، يلزم أن يكون مثل سلوك اللغة الإنجليزية بجَعْلِ الحِرَف والوظائف والمِهن ونحوها في باب (الأسماء المحايدة)، في حين أن العربية لا تعرف هذا الاسم المحايد، فالأسماء فيها إما مذكرة أو مؤنثة ليس غير.

ولعل من المفيد أن نختم هذا البحث بما وقفنا عليه، في هذا الخصوص، من قرارات للمجمع اللغوي بالقاهرة، في دورة انعقاده رقم ٤٤ج/٧، بتاريخ ١٩٨٧/٣/٢١م، الذي ينص صراحة على الآتي: ((عدم جواز وَصْفِ المرأة بدون علامة التأنيث في ألقاب المناصب والأعمال. . . . .

((لا يجوز في ألقاب المناصب والأعمال - اسمًا كان أو صفة - أن يوصف المؤنث بالتذكير، فلا يقال: فلانة أستاذ، أو عضو، أو رئيس، أو مدير)).[٣٦]

(٣٦) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مجموع القرارات العلمية في خمسين عامًا ١٩٣٤-١٩٨٤م، قرار رقم ١٠٤، ص١٢٨)

The analysis of the around language errors: Describing a woman as a man (Sudan as specimen)

Dr. Ibrahim A. Ishaq
College of Arabic Language
Umm Derman University, Sudan

Abstract. We can normally see nowadays, in Sudanese writings such as newspapers, magazines and governmental documents, describing a woman exactly as a man. Hence ،we can see these writings saying such as:

a- Sumaya is a lawyer and solicitor.

b- Ahmed is a lawyer and solicitor.

As it is mentioned above, Sumaya is in equal footing with Ahmed without any difference between the tow of them.

This order induced the English language readers in the Sudan to apply measurements of English language grammar and styles to Arabic language rules and styles.

But, as we know that, these two languages came from tow different families, and so they give spontaneously quite different prescribe.

The English language, as well known, came from Indo_ European family, whereas Arabic language came from Semitic family.

In general, the English language grammatically, divides the name into three kinds: male, female and neutral, while Arabic language would never determine, in its styles, the neutral name.

The Arabic language, at any rate, confirmed to differentiate, in its styles, between male and female, hence, grammatically we should have to say:

a- Ahmad is a lawyer and solicitor.

b- Sumaya is a lawyeress and soliciteress.